

خطاب جلالة الملك في مناقشات مؤتمر القمة الثامن عشر لقرار لجنة الحكماء

أيها السيد الرئيس

ايها الزملاء الأعزاء

سأبدأ بما كنت افردته لخاتمة خطابي، أولا أشكر جميع اعضاء هذا المجلس الذين انكبوا على دراسة هاته المشكلة بمزيد من التحمس، وكذلك بالرغبة التي أفصح عنها كل منهم فيما يخصه في الاسهام في ايجاد الحل المتصل بالصيغة المعتمدة لنص القرار المعروض على أنظاركم.

بيد انني أود اثارة اهتمام الجميع بنقطة ذات أهمية بالغة وهي : ان المغرب كان قبل ان يقبل تنظيم استفتاء خاضع للمراقبة في الصحراء معرضاً للحكم عليه، وفي غالب الحالات كان يحكم عليه غيابيا.

ومنذ امس تغيرت الحالة بحيث لن يعود بالامكان أبداً الحكم على المغرب غيابياً ولا حضورياً، فمن يا ترى يستطيع اخراج ادارتي وجنودي اذا لم أسلم بذلك، ومن الذي يقدر على الزامي بأي تصويت كيفما كان شكله ؟

ان المغرب في الظرف الراهن هو أول معني بالامر، أحب ذلك رئيس مدغشقر أو كرهه، فعليه ان يكون من هذا على بينة، فالمناقشة ستكون معي لا مع الفراغ ولا مع المريخ أو المشتري، سوف تتعين المذاكرة معي وسوف يكون عليكم مخاطبتي، فالحكماء وهم أهل الحكمة والصواب لن يحاولوا ان يفرضوا علي وجهة نظركم، اذ انهم بحكم مراسهم الدولي على علم بما يليق ان يطلب من رئيس دولة، ومن شعب كذلك وما لا يناسب ان يطلب منهما.

اما انا فانني اقبل الاستفتاء، وربما كان اولئك الذين دافعتم عنهم هم الذين لا يقبلونه، كما قالوا أمس في باريس، قالوا انهم غير قابلين لهذا الاستفتاء فهم بكل بساطة يريدون ان يتم تسليم هاته الارض لما يسمى بالبوليساريو !

ان البوليساريو لم يتحدث قط عن الشعب الصحراوي، البوليساريو نطق باسمه هو.

وهاته نقطة اخرى ايها السيد الرئيس، لقد تكلم السيد رئيس الجمهورية الجزائرية عن الأطراف المعنية والتي يواجه بعضها البعض في ساحة الوغى، فهلا اتاح لي ان الاحقهم الى السبل التي يسلكونها ؟

فليفسح لي المجال ولو على طول أربعين كيلومترا في أرضه، وساعتها سأقبل ان يعين البوليساريو باسمه

في مواجهتي، اما الآن فسأقف ولكن لا عند البوليساريو وانما بموجب الاحترام، الاحترام الذي اكنه لجاري فنحن انا ورئيس الجمهورية الجزائرية هالكان في ساعة الاجل، وكذلك يتوفى المسؤولون المحيطون به، وينقضي عمر المستشارين الذين يقفون اليوم من ورائي، لكن أهذا يعني ان لنا الحق في المخاطرة بمستقبل العلاقات بين شعبين اقتسما طوال القرون الشاذة والفاذة ؟ اذاً فليدع البوليساريو عندي، وليكف عن ايوائه، والا فليقبل التعامل مع رجال مثلي، الآن ادركت حقيقة الامر أيها السيد الرئيس وايها الزملاء الأعزاء، أقسم لكم بالله انني حينما كنت اسمع القائل يقول : ان الجزائر في حرب معكم كنت ارد عليه لا، انما ذلك اتخاذ موقف، اما الآن فحين أرى الوفد الجزائري يتحدث بهاته اللهجة ويتجول بين الاروقة لاضرام النار، أنني لمتأكد من ان الجزائر في حرب معي، حرب تؤلمني اكثر من ايقادها لأي شعور آخر، وامنيتي الوحيدة هي ان ينتهي هذا المسلسل، فماذا سيكون مصير الجزائريين والمغاربة غداً اذا الجرح لم يضمد لعمق مداه ؟ وماذا ترانا نحن صانعين ؟ لست أقصد الجراح، لكن ماذا نصنع في خصوص «الشعب الصحراوي» اذا فضل الانفصال عن المغرب ؟ اما هو فاذا أخذ بهذا الاتجاه فسيكون قد صنع شقاء الذي ضمه اليه. انني أقولها من الآن ان «الشعب الصحراوي» لمن الفطنة بحيث يعلم اين يقع خيره وصالحه، يعلم هذا منذ مآت الأعوام، فلم يلق من لدنا إلا الخير العميم والثقافة والدين، وأعطانا بدوره اعلاما وعلماء افذاذا، ومنهم دفين ناحية طنجة جد قبائل الركيبات الشريف الولي مولاي عبد السلام بن مشيش، إنه دفين ناحية طنجة وليس العيون أو اسمارة.

لذلك ايها السيد الرئيس وأيها الزملاء الأعزاء، اعتقد انه ينبغي تحري المشكل من عميق جذوره، انني من وقت بعيد لم ازر منظمة الوحدة الافريقية في جمعها، فلابد ان اقول ملتمساً المعذرة من مشايخي ومن الجميع ان المستوى تدنى، ولا مناص من هذا القول.

ان الانسان حينما يكون قد عمل الى جانب امثال سيكوتوري، ونكرومة، وموديبو كيتا ؛ وجمال عبد الناصر ؛ وجومو كينياتا، وأمثال امثالهم ؛ صدقوني ان هذا الانسان ليحس المرارة ويحن الى ماضي السنين تلهفا وشوقاً.

قام المغرب بمبادرة، ولا معنى لوصفها بالسخاء ما دام الأمر لا يتعلق بمنحي شيئاً لشعب ما، فالشعب هو القادر على ان يهب لي، فماذا عساني اهب له، لم أقم بمبادرة سخاء وانما قمت بمبادرة وفاق وتصالح، فلم اعد احب ان اسمع احداً يقول ان المغرب يقف حجر عثرة في الوحدة وانه يفرق بين اهل افريقيا، بين الحكماء والمعتدلين او قليلي الاعتدال والغلاة المتطرفين.

وقصدي كان ان يدرك الناس ان المغرب لا يبغي الهيمنة والتوسع، ثم انني قصدت النزول عند رغبة عبر عنها عدد من رؤساء الدول الذين ليسوا منتمين لقارتنا ولكنهم بحكم شخصياتهم ومواقعهم ورصيدهم الماضي منحوا هذا المشكل بعداً يتخطانا جميعا، وكما قالت قبل لحظة السيدة وزيرة الخارجية[1] استطرد واقول انني أستعيذ من ان تكون هاته السيدة يوماً من الأيام خصيمتي في مفاوضة ما لأنها شديدة قوية الشكيمة، كما قالت انني طيب كريم الا انني لا اقع في حبال الاحسان النصراني، لا اسلم خدا للطم بعد خد، قد انقاد للمهانة مرة، اما في الثانية فلعلني استبق من يزمع مسي.

انني اتكلم باسم بلدي، اما انا فانسان عابر بحسب المشيئة والقدرة لكنني انسان لا يرضى ان يستخف

(1) وزيرة خارجية ساوطومي أي برينسيبي.



بلده الى ذلك الحد، ان فرنسا لم تسحب جيشها وادارتها وقت الاستفتاء من الجزائر، ولم تطلب ساعتها الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية جلاء القوات الفرنسية، فهل معنى هذا ان ثقة الجزائر في الجيش الفرنسي المرابط بالجزئر أقوى من ثقتها اليوم في جيش اخوانها المغاربة ؟

حقيقة ان هذا لمخجل ان ينتقل الانسان بهذا التحول غير المفهوم من موقف مبدئي الى ما يناقضه.

اما نحن فنؤيد تقرير المصير على علاته ورغم منافاته للتاريخ والماضي، وقد اعتمدت هذا الموقف وظننت ان الوفد الجزائري سيكون السباق الى تهنئتي بقوله مثلا : واخيرا قلتم «نعم» في هذا الذي كنا حوله مختلفين، وانتم تعلمون انه ليست ثمة عندي مشكلة في الصحراء، فهيا نتعانق وحي على العمل جميعاً لانجاز هذا الاستفتاء.

كنت آمل ان أسمع مثل هذا الكلام علما بان فريقا من سكان الصحراء موجودون في الجزائر، هذا ما كنت اتحسبه، لكن هذا لم يحدث وليس ذلك يعني انه انقطع الامل في حدوثه، على اية حال في خصوص هاته النقطة يظل باب المغرب مفتوحا وسيدوم مفتوحاً، فان المغرب بلد الحوار، انني تتلمذت على يد محمد الخامس رضوان الله عليه، ومدرسة محمد الخامس انما هي مدرسة رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فلتراجعوا جميعاً معاهدة الحديبية وكيف ان الرسول الكريم استطاع دخول مكة المكرمة من دون ان تراق قطرة من دم المسلمين ولا من دم الكفار، تلكم هي مدرستي، هي الحوار، انا أحاور دائما، وبطبيعة الحال ان الحوار يكتسي طوابع شتى ويسير بالسرعة التي تمليها الظروف المحيطة به، وللحوار مضمون يكون متغايراً بحسب الملابسات، لكن الحوار يبقى على جوهره محافظاً ولو أطلق النار، فالصراع لم يكن غاية في حد ذاته وانما هو ممهد للحوار.

لقد سمعتم خطابي ايها السيد الرئيس، والزملاء الاعزاء، وقد القيت على مسامعكم حجتي، وانني شخصياً أؤيد النص الكامل للقرار، اجل انه لا يحتوي على تسوية بين ثناياه، الا انه من المؤكد انه لن تتم اية تسوية اذا لم تراع سيادة المغرب وكرامته، هذا ما أقوله عالياً وبصورة نهائية، واتوجه خاصة الى هؤلاء السادة المنضوين تحت لواء مجموعة الستة، هم ستة وربما سبعة، وقد تكلم بعضهم دون بعض، وهم على اية حال متماسكون ؛ اقول لهم نهائياً ما فتئت اكن الاحترام لبلدانهم، ولم انطق في حقها بأية كلمة غير ذات موضوع، ولست أدري ما الذي يفرق بيني وبين الموزمبيق، نعم ان افريقيا شاسعة الأطراف، ومع هذا اي فارق يفرق بيني وبين الموزمبيق ؟ أولى دفعة من الأسلحة جاءت للموزمبيق كانت من المغرب، وفي بلدي تدرب المناضلون الموزمبيقيون على استعمال السلاح اول ما تدربوا، فما لهم وما لي، وما لي وما لهم، ولم كل هذا ؟

ومدغشقر، حين أذكر مدغشقر تفيض عيناي، سكنت فيها عامين من عمري منفياً أسيراً، بما ذا مسست الرئيس راتسيراكا ؟ وبماذا مسه المغرب ؟ ولم قبل لحظة فاتت ايها الرئيس عندما طرح مشكل القرن الافريقي وهو اقرب اليكم قلتم : لننتقل على التوالي الى الصحراء، فماذا يهمكم من أمر الصحراء ؟ او ما هو ادنى في افريقيا بالنسبة لكم ؟

مهما كان الأمر فلتهضموا وجبة الغذاء الاضافية التي قدمت لكم، ورجائي ان يكون الهضم طيباً، اما المغرب فليس هضمه بالأمر اليسير ولو ظننتم.

إنني لآسف اذا اضطررت إلى اعتماد هاته اللهجة، لكنني أعتقد أنه خلال المدة التي لم ات فيها إلى جمع منظمة الوحدة الافريقية، لم يفهم بعض الناس حقيقة المغرب، ان للمغرب كثافته وقيمته المميزة صغرت او كبرت، وفضائله معروفة هنا من كثير، ولن أذكر من هذا الكثير سوى ذلك الرجل الذي اسميه شيخي الرئيس احمد سيكوتوري، واني ازجي له الثناء على روح تفهمه، لقد عملنا جنباً لجنب زمناً طويلا، واختلفنا في بعض المشكلات الا أنه حينا ادرك الحقيقة أو ادركتها بدوري وزالت من سمائنا غيوم الغموض، حتى ولو اختلفنا في تحليل مشكلة أو فضها او نحو ذلك، ظلت تسود بيننا انا والرئيس سيكوتوري أجواء الصدق الأصدق.

ما خان المغرب، وابداً لن يخون، المغرب لا يملك نفطا ولا قنبلة ذرية، ولكن المغرب مالك كلمته وعهده، والمغرب مالك التزامه.

انني تعودت ان احفظ صورة المغرب واصون سمعته بصبر ومصابرة وجهد ومجاهدة من اليوم الذي عاينت فيه كيف عرض أبي الكريم ذاته للمحنة ليكون للوطن المخلص، لم يكن ذلك بالامر السهل دائماً، الا انه منذ عشرين عاما والمغاربة يمنحونني آيات الحب والولاء وامنحهم من جهتي نضالي وحياتي، عملت بكل طاقتي لأجل الحفاظ على هذا التراب المميز بالصدق والوفاء، فكل من صادق المغرب في الخير لن يرى منه الا الخير، وزيادة كما كان في الماضي، وكل من والاه لايندم ولن يندم على موالاته ومناصرته اياه.

مرة اخرى اوجه نداء استعجالياً، نداء تاريخياً لا حنينا الى الماضي وانما تطلعاً للمستقبل، فأطلب من الحكومة الجزائرية ان تعيد النظر في موقفها، اذ المغرب لبى طلبها المبدئي فلتكن مخلصة لنفسها فتقبل التعاون معنا ولو لضبط تعداد سكان الصحراء والا فلتنسحب، ومعنى هذا الانسحاب انني أقول للحكومة الجزائرية ان عليها ان تسلم لي رقعة من الأرض لأتمكن من ملاحقة المعتدين على بلدي، اما لعبة الاختفاء فقد طالت واستطالت ولم تعد تطاق بالنسبة لي باعتباري واحداً من الأسرة الافريقية وبالنسبة لتقييمي لوضع الحكومة الجزائرية في الأسرة العربية، انها لا تطاق أيضا بالنظر لانتساب كل من المغرب والجزائر للجماعة الاسلامية، إن هذا الوضع يجب أن ينتهي، وان البلبلة لا تخدم صالح اي أحد، وأرجوا الله سبحانه ان يرزقنا الصبر ويمدنا بنور من عنده لنقبر الماضي نحن وهم وننساه، فنتجه بابصارنا إلى آفاق المستقبل.

«صاحب الجلالة يرفع العلم الوطني المنصوب على المنبر في المقعد الملكي ويختم خطابه بقوله» :

زملائي الأعزاء

ان هذا العلم عندي يرمز الى عزة وطني وسيادته وكرامته، وانني عندما أقول انني ملك المغرب، اعني بذلكم ان المغاربة هم ملوكي الذين يسودونني ولست في الواقع انا الملك الذي يسود المغاربة، ولم أر أحداً مثلي في مثل عبوديته، فماذا يعني هذا ؟ معنى عبوديتي هي أن أبقي هذا العلم خفاقاً عالياً ونظيفاً على الدوام، وادعو الله ان يعينني في ذلك ويشد ازري، وشكراً لكم.

السبت 24 شعبان 1401 — 27 يونيه 1981